محاضرة 6: تأثير الأدب في السمعي البصري

يشير كثير من النقاد إلى نقطة جوهرية مفادها أن السينما منذ "انطلاقتها حاولت... أن تقترب من بقية الفنون لتستفيد منها، وكان أن شكلت القصة والرواية وحتى القصيدة رافد هاما للسينما. ونظرا لهذا التوافق لجأ الكثير من السينمائيين إلى اقتباس العديد من النصوص الأدبية"[1]، لتقديمها في شكل سينمائي.

لعل هذه العلاقة الجدلية بين كل من السينما والأدب دفعت الباحثين والنقاد للبحث في مضمون وشكل هذه العلاقة الجدلية، من ذلك نجد ما قدمه الروائي الجزائري **عبد الحميد بن هدوقة** من شرح لإشكالية هذه العلاقة فيقول: "العلاقة بين الأدب والسينما غائية مستقبلية، كل منهما يحاول بوسائله الخاصة تغيير واقع معاش إلى واقع متصور، هي علاقة توق إنساني إلى بناء إنسان جديد، غير معقد، غير متأزم،...بالإضافة إلى هذه العلاقة هناك كثير من الأشياء المشتركة بينهما، ذلك أن كل من الأدب والسينما أداة تعبير ووسيلة تبليغ في نفس الآن"[2]؛ نفهم من هذا الطرح أن كل من السينما والأدب يشتركان في البوح والاهتمام بالتعبير عن الواقع الإنساني وما يعتريه من إشكالات، ولعل هذا التشابه والتقارب بينهما في التعبير والاهتمام بالقضايا الإنسانية دفع كل منهما للانفتاح على الآخر مستفيدين في ذلك من خصائص بعضهما.

من هنا سعت السينما "بالنزوع إلى المصنفات الأدبية من أجل تجسيدها فيلما، نظرا لطبيعتها الفكرية والفنية وعظمة غايتها، وهذه التجربة تحققت منذ مدة طويلة حينما قرر المخرجون السينمائيون الانفتاح على الأدب والغوص في مضامينه وأجناسه بغية تجسيدها في السينما، وتحقيق هذه المتخيلات التي تحملها هذه الأعمال الأدبية"[3].

1-السينما والاقتباس من الرواية:

لعل من أبرز الأنواع الأدبية التي سعت السينما إلى التقرب والاقتباس منها وتقديمها فيلما سينمائيا نجد الرواية، فالرواية كانت أكثر الأنواع الأدبية "التصاقا بالسينما، لقرب الشراكة في جوهر الحكاية التي تشترك فيها مع السينما"[4]، وذلك لكون أن الرواية تلتقي مع السينما "في أهم عنصر بنائه ممثلا في السرد، ذلك أن السرد يمكن أن تقدمه اللغة المنطوقة كما يمكن أن تقدمه الصورة، فإذا كان السرد يتحقق في الرواية بفضل اللغة عن طريق توالي الجمل فهو في الفيلم السينمائي يتحقق عن طريق توالي الصور كل صورة تقدم معنى دلاليا مساهمة مع باقي الصور في تشكيل المعنى الدلالي العام للفيلم"[5].

انطلاقا من التقارب بين السينما والرواية "تمكن العديد من كتاب السيناريو والمخرجين –بشكل خاص- من أن يجدوا في النصوص الروائية مادة ثرية لصناعة الأفلام السينمائية، والأمر لا يرتبط بالسينما الحديثة وإنما يرجع إلى البدايات الأولى للصناعة السينمائية، حيث كان المخرجون يهتمون بالقصة والمضمون بسبب غياب العناصر المثيرة بصريا وصوتيا"[6]، هكذا سعى عديد من "المخرجين في بداية القرن العشرين أن يستخدموا الروايات والقصص مادة لأفلامهم، ويأخذوا من روائع الأعمال الأدبية الخالدة ما يصلح موضوعا فيلميا يخضع للمعالجة"[7]، وذلك "لما تقدمه الرواية من مجالات واسعة لرسم العوالم الموجودة داخلها سينمائيا، بخاصة الرواية على خلاف الأجناس الأدبية الأخرى، يمكن أن تتوفر على المادة الأولية لتشكيل الصور السينمائية بفضل الوصف، وتشكيل المشاهد بفضل السرد، وتشكيل الحوار أو تصرفات الشخصيات"[8].

2-ببليوغرافيا أشهر الروايات العالمية المحولة إلى فيلم سينمائي[9]:

"-رواية (مادام بوفاري) **لغوستاف فلوبير** 1857، نقلها إلى السينما أول مرة المخرج الفرنسي (**جون رينوار**) سنة 1934، ثم الأمريكي **فانسنت مينيلي** سنة 1949، ثم الفرنسي **كلود شابرول** سنة 1991، ثم المخرجة **سوفي بارث** سنة 2014، وغيرهم.

- رواية (البؤساء) **لفيكتور هيغو** 1862، نقلت إلى السينما أكثر من 30 مرة، كان أولها للمخرج (**جيمس ستيوارت بلاكتون**، سنة 1909، وآخرها المخرج **توماس هوبروهيغ جاكمان**.

- رواية (موبي ديك) للكاتب الأمريكي **هيرمان ميلفيل** سنة ، أخرجت إلى السينما أكثر من 10 مرات.

- رواية (أنا كارينا) للكاتب الروسي **ليون تولستوي** 1877، نقلت مرات عديدة إلى السينما آخر سنة 2012، على يد المخرج **جو رايت** الحائز على جائزة الأوسكار بهذه الرائعة تحديدا.

- رواية (الجريمة والعقاب) للكاتب الروسي **دوستويفسكي** 1866، نقلت عديد المرات إلى السينما أولها سنة 1956 على يد المخرج **جورج لامبين** وآخرها سنة 2000 على يد المخرج **روب شميد**.

- رواية (فيرونيكا تقرر أن تموت) للروائي البرازيلي **باولو كويلو** سنة 1998، نقلت إلى السينما مرتين واحدة صينية سنة 2006 للمخرج **كي هوري** والثانية أمريكية سنة 2009 للمخرجة **إيميلي يونغ**.

- رواية الأديب **فرانزكافكا** (المحاكمة) 1926، نقلها إلى السينما المخرج **أورسون ويلس** سنة 1962.

- رواية (شيفرة دانفشي) للكاتب الأمريكي **دان براون** سنة 2003، نقلها إلى السينما سنة 2006 المخرج **رون هوورد.**

-رواية (عداء الطائرة الورقية) للكاتب الإيراني **خالد حسيني** سنة 2003 نقلها إلى السينما المخرج **مارك فورستر** سنة 2007.

- رواية **مارغريت ميتشل** الشهيرة (ذهب مع الريح) أخرجها للسينما المخرج **فيكتور فليمنغ** سنة 1939، فاز بـ 8 جوائز أوسكار".

"-رواية بقايا اليوم...للكاتب البريطاني الياباني **كازو إيشيجوو...** والتي صدرت في أواخر الثمانينيات... تحولت...إلى فيلم في أوائل التسعينيات.

-رواية المريخي... من كتابة **آندي وير**، وهو كاتب أمريكي الأصل تم نشرها في عام 2011... تحولت إلى فيلم بنفس الاسم سنة 2015 من إخراج **ريدليسكوت.**

-رواية فتاة القطار رواية بوليسية درامية للكاتبة الإنجليزية **باولا هوكنز** صدرت سنة 2015، ... تحولت لفيلم في العام التالي مباشرا استثمارا لنجاح الرواية.

-رواية اللون الأرجواني للكاتبة الأمريكية **أليس ووكر** صدرت في بدايات الثمانينيات... تحولت الرواية لفيلم يحمل الاسم نفسه في منتصف الثمانينيات.

-رواية الضباب من تأليف **ستيفن كينج** صدرت في الثمانينيات...تحولت الرواية لفيلم عام 2007 يحمل الاسم نفسه.

هذا عن أشهر الروايات العالمية وتحديدا الغربية، أما عن أشهر الروايات العربية التي حولت إلى أفلام سينمائية نجد:

"-رواية زينب **لمحمد حسين هيكل** من إخراج **محمد كريم.**

-رواية لا أنام/ لا تطفئ الشمس **لإحسان عبد القدوس.**

-روايات: بداية ونهاية/ زقاق المدق/ اللص والكلاب.. **لنجيب محفوظ.**

-رواية الأرض **عبد الرحمان الشرقاوي** حولت للفيلم من إخراج **يوسف شاهين.**

-رواية (رجال في الشمس) للروائي الفلسطيني **غسان كنفاني**، حولت لفيلم سينمائي بعنوان (المخدوعون) من إخراج **توفيق صالح**.

- رواية (باب الشمس) للروائي اللبناني **إلياس خوري**، إخراج **يسري نصرالله**.

-رواية (بقايا صور) للكاتب السوري **حنا مينا**، حولت إلى فيلم بنفس العنوان من إخراج **نبيل المالح**.

-رواية الأفيون والعصا (1968) حولت لفيلم من إخراج **أحمد راشدي**.

-رواية ريح الجنوب، حولت لفيلم من إخراج **سليم رياض**.

-رواية صمت الرماد للكاتب **قدور محمد صاحبي**، حولت لفيلم من إخراج **يوسف عبد الرحمن صحراوي**.

-رواية الربوة المنسية للكاتب **مولود معمري**، حولت لفيلم من إخراج **عبد الرحمن بوقرموح**.

-رواية البذرة للكاتب **مالك واري**، حولت لفيلم بعنوان إطلاق النار من إخراج **محمد إفتيسان**.

-رواية شرف القبيلة **لرشيد ميموني**، حولت لفيلم من إخراج **محمد زموري**.

-رواية فضل الليل على النهار للروائي **ياسمينة خضرا**، حولت لفيلم من إخراج **ألكسندر أركاداي**.

-رواية الصدمة للروائي **ياسمينة خضرا**، حولت لفيلم من إخراج **زياد دويري**.

3-من التشكيل السردي إلى التصوير البصري (الاقتباس):

يشير عديد من الدارسين إلى "أن عملية تحويل الرواية إلى فيلم تمر بمراحل مهمة تتمثل في الاقتباس أولا، ثم السيناريو والتصوير وما يتطلبه من مرافقة تتعلق باختيار المناظر والتركيب والمزج"[10]، ولعلنا هنا سنركز أكثر على مرحلة الاقتباس وما تحمله من دلالات.

يقر كثير من النقاد بأن "تحويل عمل روائي إلى فيلم سينمائي لا يعني التجسيد بالضرورة، فالنقد السينمائي كان واضحا بخصوص العلاقة بين الرواية والسينما؛ إذ حددها ضمن إطار الاقتباس الذي يعد الشكل الأكثر شيوعا لدراسة العلاقة بين الأدب والسينما ...والسبب يعود إلى أن متلقي الفيلم يتوقع أن يرى ما قرأه في الرواية غير أن العمل السينمائي يقوم على اقتباس العمل الروائي لا تجسيده"[11].

جاء تعريف الاقتباس بأنه "تحويل إنتاج أدبي إلى طريقة تعبير أخرى"[12]، وفي مجال الرواية والسينما نجد أن اقتباس نص روائي وتحويله إلى فيلم سينمائي يتجلى من خلال اعتماد "المخرج حين يقتبس عملا روائيا ...على بعض التقنيات التي تسهل عليه العمل، فالفيلم لا يشبه الرواية حتى وإن كان مقتبسا منها، بما أن الرواية تشتغل على اللغوي والسيناريو يشتغل على المرئي، وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم الاقتباس إلى قسمين: الاقتباس المطابق والاقتباس المخالف...فالفيلم الذي اعتمد فيه مخرجه فيه على الاقتباس المطابق لا يعني أنه قد ألغى أي إبداع خارج النص الروائي، كما أن الفيلم الذي اعتمد مخرجه فيه على الاقتباس المخالف لا يعني إلغاء هوية الرواية من عمله السينمائي، فالأمر يتعلق بأعمال إبداعية، ولا يخلو عمل إبداعي بما هو معتمد على التخييل والخلق، من عنصري الوفاء والخيانة"[13].

4-مقتضيات تحويل الرواية إلى السينما:

تتم عملية تحويل الرواية إلى فيلم سينمائي وفق عدة آليات وهي:

- **المواءمة:** "والمواءمة تتم عن طريق مواءمة أحداث الفيلم لأحداث الرواية وحتى يتحقق مبدأ المواءمة يكون لزاما على صانع الفيلم أن يعمل جاهدا على خلق توافق منطقي يتحقق من خلال النقل الهادئ والتحويل الأمين"[14].
- **الاختزال أو الحذف:** "الرواية لا تتقيد بحدود ملزمة صارمة من حيث المساحة أو عدد الصفحات أو الفترة الزمنية التي تغطيها، أما بالنسبة للسينما فهناك التزام شبه صارم بمدة العرض التي تتراوح في الفيلم التقليدي الروائي عادة بين 100و 120 دقيقة،...لذلك يقوم النص السينمائي في كثير من الأحيان بالاستغناء نهائيا عن بعض الشخصيات الجوهرية والأحداث المفصلية للرواية، ويختزل بعض الخطوط المكتوبة، ذلك بحجة عدم موائمتها إنتاجيا.
- **التنقيل أو التقديم والتأخير:** هذه المسألة لا تهم بعض التفاصيل وإنما تستطيل أحيانا إلى مجمل بنية النص الروائي، فرواية (الأحمر والأسود) مثلا تنتهي بمحاكمة البطل (جوليان صوريل)، في حين أن الشريط السينمائي الذي اقتبسها يبدأ بالمحاكمة، وهناك كثير من الأمثلة التي لا حصر لها على التقديم والتأخير في أحداث الرواية عند نقلها إلى الشاشة.
- **الإضافة:** بمقتضاها يضيف الشريط السينمائي أحداثا وأمكنة وشخصيات لا توجد في النص الروائي الأصلي... تتوقف هذه العملية على مقدرة كاتب السيناريو الإبداعية، فهناك من يملك القدرة على الإضافة من خلال فهمه وتصوره للعمل، وهناك من يحاول أن يلتزم بالنص الروائي بشكل صارم، فتكون إضافاته محدودة جدا، وهناك من يخرج عن النص دون وعي أو مقدرة، وفي

بعض الأحيان تكون هناك ضرورة إضافية لهذه العملية، نتيجة لقلة أحداث الرواية أو صعوبة التعبير عن كثير من أجزائها بشكل سينمائي فيضطر كاتب السيناريو إلى أن يقدم تفاصيل بديلة كثيرة تعبر عن مضمون الرواية .

- **التكثيف:** مثلما تشتغل النصوص الروائية بهذا التكتيك، كذلك الأشرطة السينمائية تعمل بالتكثيف فيما تقتبسه من نصوص روائية: إذ تلخص وتكثف في لقطة لا تستغرق أكثر من دقيقة ما قاله النص الروائي في صفحات ذوات العدد، كأن تصاغ سنوات من حياة البطل في عبارة واحدة.
- **إعادة البناء:** كثيرا ما نجد في بداية الفيلم مثلا بعض الأحداث التي قرأناها في فصول متأخرة من الرواية أو العكس، وعملية إعادة البناء هذه كثيرا ما تبتعد بالفيلم السينمائي عن أصله الروائي، وبخاصة إذا كانت الرواية لا تركز بشكل أساسي على الخط الدرامي، أو إذا كان صناع الفيلم لهم رؤية مختلفة عما تتضمنه الرواية، فينتج بذلك في النهاية تقديم عمل مختلف في معظم تفاصيله لكنه يتشابه مع الأصل الروائي بصورة محدودة.
- **التمطيط:** وهو تكنيك مشهود به في المجال السينمائي وضمن صيغ علاقاته بالنصوص الأدبية، حيث تعمد الأشرطة السينمائية على تمطيط بعض المشاهد الروائية أو القصصية ومنحها حجما وحيزا أكبر مما هي عليه في النص المقتبس"[15].

الهوامش:

[1]-كريمة ناوي، إيديولوجيا الرواية والفيلم.. السينما الجزائرية نموذجا، مجلة التراث، ع: 3، ص : 138.

[2]-سنوسي شريط، الأدب والسينما: حدود التلاقي والتداخل في التجربة الجزائرية، مجلة آفاق سينمائية، ع:1، 2013، ص: 25.

[3]-المرجع نفسه، ص: 25.

[4]-عادل خميس الزهراني، الإحساس بالنهاية بين وسيطين: قراءة في المسافة بين الرواية والفيلم السينمائي، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ع: 2، ديسمبر 2020، ص: 8.

[5]-محمد الأمين بن ربيع، الصورة من النص الروائي إلى الفيلم السينمائي (دراسة مقارنة في التجربة الجزائرية)، (أطروحة دكتوراه)، إشراف: طارق ثابت، جامعة الحاج لخضر، باتنة- الجزائر، 2022-2023، ص: 76.

[6]-المرجع نفسه، ص: 76.

[7]-دنيا شهب، نوال بن صالح، مقتضيات تحويل النص الروائي إلى الفيلم السينمائي –دعاء الكروان أنموذجا، مجلة العلوم الإنسانية، مج: 20، ع: 1، 2020، ص : 700.

[8]- محمد الأمين بن ربيع، الصورة من النص الروائي إلى الفيلم السينمائي (دراسة مقارنة في التجربة الجزائرية)، ص: 100.

[9]-ينظر: وافية بن مسعود: مطبوعة الأدب والفنون السمعية البصرية، ص:15.

محمد الأمين بن ربيع، الصورة من النص الروائي إلى الفيلم السينمائي (دراسة مقارنة في التجربة الجزائرية).

زينب ياقوت/ ارتحال النص السردي من الرواية إلى السينما عرض بعض النماذج، مجلة قراءات، مج: 14، ع: 1، 2022.

[10]- محمد الأمين بن ربيع، الصورة من النص الروائي إلى الفيلم السينمائي (دراسة مقارنة في التجربة الجزائرية)، ص: 99.

[11]-المرجع نفسه، ص: 99- 100.

[12]-المرجع نفسه، ص: 99.

[13]-المرجع نفسه، ص: 100- 101.

[14]-فاطمة همال، ليلى فرشة، عائد إلى حيفا: من النص الروائي إلى العرض السينمائي "دراسة في أفلمة الرواية"، المجلة الدولية للاتصال الجماعي، مج: 9، ع: 3، جامعة مستغانم، الجزائر، 2022، ص: 78.

[15]-دنيا شيهب، نوال بن صالح، مقتضيات تحويل النص الروائي إلى الفيلم السينمائي –دعاء الكروان أنموذجا-، ص: 704 وما بعدها.